

ملخص سياسة SESRI

التعليم في قطر: الواقع المعقد بشأن رضا المواطنين

ندى عبدالقادر بن منصور

يُدرّك صناع القرار في قطر بأن التعليم عنصر أساسي لتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في البلاد. ولذلك؛ تخصص دولة قطر استثمارات هائلة لقطاع التعليم بهدف تحسين منظومتها التعليمية. ودفَع البرنامج الإصلاحي «تعليم لمرحلة جديدة» نحو إنشاء المدارس المستقلة، إلى جانب توفير قسائم للطلاب القطريين للالتحاق بالمدارس الخاصة والدولية في الآونة الأخيرة. ورغم منح الدولة الأولوية لقطاع التعليم، فإن رضا المواطنين عن هذا القطاع لا يزال في مستوى منخفض، ويظهر ذلك جلياً عند المقارنة برضا المواطنين القطري عن القطاعات العامة الرئيسة الأخرى. وفي الواقع؛ كشفت دراسة مسحية سابقة أجراها معهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية المسحية، أن القطريين يشعرون بدرجة عالية من الرضا نحو قطاع المرافق لكنهم أقل رضاً عن التعليم؛ وذلك عندما يتعلق الأمر بالخدمات العامة. ونجد هنا أن القطريين رغم عدم رضاهم عن مستوى التعليم في المدارس المستقلة إلا أنهم يبدون غير مهتمين بخيارات التعليم الأخرى التي يوفرها نظام القسائم الذي أطلق مؤخراً. ويوضح ذلك الواقع المعقد لعملية إرضاء المواطنين بشكل عام ولكن بشكل أكثر تحديداً، في السياق المحلي حيث يبدو أن المواطن مرتبط بقوة بقيمه التقليدية.

وقد أنجزت المرحلة الأخيرة من هذا النظام التعليمي اللامركزي الجديد في العام 2010.²

وتواصل قطر ضخ استثمارات كبيرة في قطاع التعليم، حيث شكّل التعليم إلى جانب الرعاية الصحية والبنية التحتية، 45.4% من إجمالي الإنفاق الحكومي في العام 2016، أي ما يعادل 91.9 مليار ريال قطري؛ وقد جرى تخصيص 20.4 مليار ريال منها لقطاع التعليم وحده.

ورغم تصدر قطاع التعليم سلم الأولويات في قطر، والسعي الجاد من جانب الدولة لتحسينه؛ إلا أن تقديم مبادرة «تعليم لمرحلة جديدة» لم يخلُ من المشاكل. ومنذ المراحل المبكرة من التنفيذ، أثارت المبادرة شواغل مختلفة بين المعنيين. حيث أعرب الآباء عن قلقهم إزاء جودة التعليم، إضافة إلى قلة التركيز على كل من اللغة العربية والدراسات الدينية.

أدت هذه التطورات إلى إطلاق نظام القسائم التعليمية³، ففي عام 2012، جرى توفير قسائم

في عام 2001؛ جرى تكليف مؤسسة «راند» بمهمة تقييم نظام التعليم في قطر بدءاً من الروضة وحتى الصف الثاني عشر؛ حيث كان النظام مركزياً للغاية، يفتقر إلى رؤية تعليمية واضحة، وبمنهج قديم يفتقر لروح التحدي، ولا يسعى لتحفيز الطلاب على التفوق.

وعلاوة على ذلك؛ فقد كانت محاولات الإصلاح السابقة مجزأة، وبدون استراتيجيات تفصيلية واضحة للتفويض، ما زاد من إضعاف النظام. ومما لا شك فيه أن ذلك تسبب في إحباط واسع النطاق بين الآباء والطلاب والمعلمين على السواء. واستناداً إلى الأفكار المستمدة من تقييم مؤسسة «راند» لنظام التعليم، أطلق المجلس الأعلى للتعليم مبادرة لاصلاح المنظومة التعليمية حملت عنوان: «تعليم لمرحلة جديدة».

وشهدت هذه المبادرة إصلاح منظومة المدارس السابقة؛ باستبدال جميع المدارس الحكومية بنموذج مدرسي جديد أطلق عليها «المدارس المستقلة» يدار بشكل خاص ولكن بتمويل حكومي.

جدول رقم 1

نسبة التسجيل في المدارس من 2012 حتى 2015

إجمالي	2015	2012	
92.4	91.6	93.1	المستقلة
4.4	6.3	2.7	الدولية
3.2	2.1	4.2	أخرى (مدارس خاصة تديرها السفارات)
100	100	100	الإجمالي

2015، إلا أن هذا المعدل لا يزال منخفضاً جداً مقارنة بمعدل التحاقهم بالمدارس المستقلة.

ومن الملاحظ أن البيانات تشير إلى أن تعليم الوالدين لا يعد عاملاً حاسماً في اختيارهم لنوع المدرسة لأبنائهم. فقد ارتفع مستوى التعليم العام للوالدين القطريين منذ 2012 وحتى 2015، حيث حصل 40% منهم على شهادة جامعية في 2015 مقارنة بـ 27% منهم فقط في عام 2012.

وأشارت النتائج إلى أن أكثر من 90% من الآباء الذين لم يكملوا دراستهم الثانوية يلحقون أبناءهم بالمدارس المستقلة، وينطبق الأمر نفسه على نحو 80% من الآباء والأمهات الحاصلين على شهادة جامعية. ومع ذلك، وفيما يواصل الآباء القطريون تسجيل أبنائهم

تعليمية بقيمة 28 ألف ريال قطري للمواطنين القطريين، تستخدم لسداد تكاليف المدارس الخاصة والدولية المعتمدة، ويمنح برنامج القسائم الآباء القدرة على اختيار المدرسة التي تناسب تفضيلاتهم، بغض النظر عن وضعهم الاقتصادي.

ويتوفر للآباء حالياً أربعة أنواع من المدارس، وهي المدارس المستقلة والمدارس الدولية الخاصة والمدارس العربية والمدارس التي تديرها سفارات بعض الدول الأجنبية في قطر. ويهدف نظام القسائم إلى تحسين نوعية التعليم، كما يشجع المدارس الدولية المتميزة على العمل في قطر.

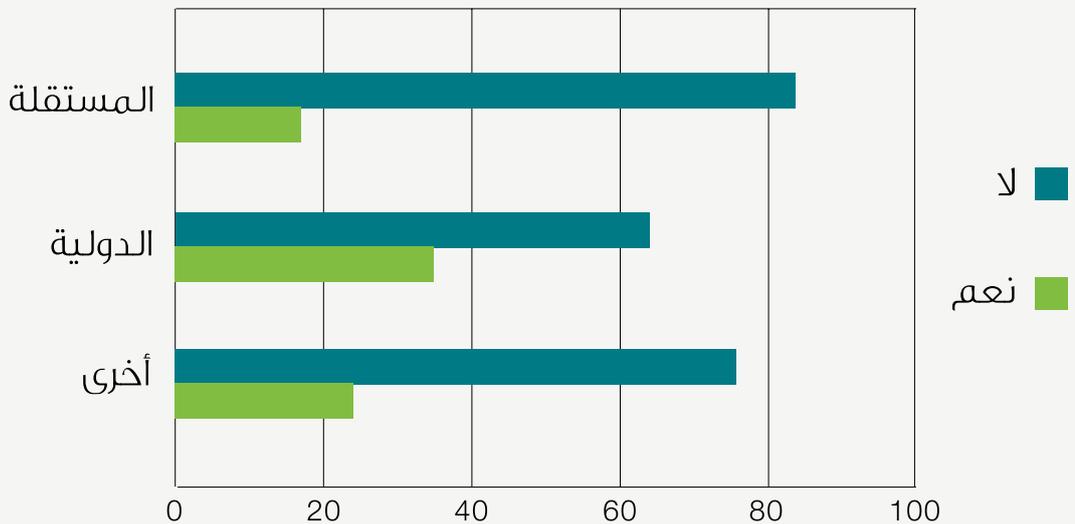
آراء أولياء الأمور حول مدارس أبنائهم

في ضوء الاستثمارات الهائلة التي تخصصها دولة قطر لقطاع التعليم؛ فإن رضا الآباء عن مدارس أبنائهم هو أداة هامة لتقييم فاعلية المنظومة التعليمية. وقد أجرى معهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية المسحية، في عامي 2012 و 2015، دراسات مسحية على المستوى الوطني طرحت على الآباء القطريين أسئلة تتعلق بتعليم أبنائهم، وكشفت النتائج أن أكثر من 90% من الآباء القطريين يسجلون أبناءهم في مدارس مستقلة. إضافة إلى ذلك، فقد ارتفع معدل التحاق القطريين في المدارس الدولية من حوالي 3% عام 2012 إلى 6% عام

بغض النظر عن المستوى التعليمي لأولياء الأمور القطريين؛ يسجل أكثر من 90% منهم أبناءهم في المدارس المستقلة

الشكل رقم 1

اهتمام الآباء بتغيير مدارس أبنائهم، 2015



استعداداً لتغيير مدارس أبنائهم، حيث أعرب 85% من أولياء أمور الطلاب في المدارس المستقلة و75% من أولياء الطلاب في المدارس الأخرى و67% من أولياء أمور الطلاب في المدارس الدولية، عن عدم استعدادهم لنقل أبنائهم من مدارسهم (شكل رقم 1).

ويترتب على هذه النتائج تناقض واضح؛ فقد عبر أولياء الأمور القطريون عن عدم رضاهم عن المدارس المستقلة، إلا أنهم ليسوا على استعداد للانتقال منها حتى لو كانت لديهم الاستطاعة المالية. ويقودنا ذلك إلى طرح أسئلة أكبر حول محفزات رضا المواطن القطري عن منظومة التعليم في الدولة.

أثر القيم التقليدية على الرضا عن التعليم

من أجل فهم هذه المفارقة بين انخفاض مستوى رضا المواطن القطري عن المدارس المستقلة وعدم استعداده للانتقال إلى مدارس أخرى؛ نستعرض هنا نتائج استبيان آخر لمعهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية المسحية. فقد أجرى المعهد في العام 2011 مقابلات مع عينة واسعة تمثل المواطنين القطريين والمقيمين حول عدد من الموضوعات ذات الأهمية في

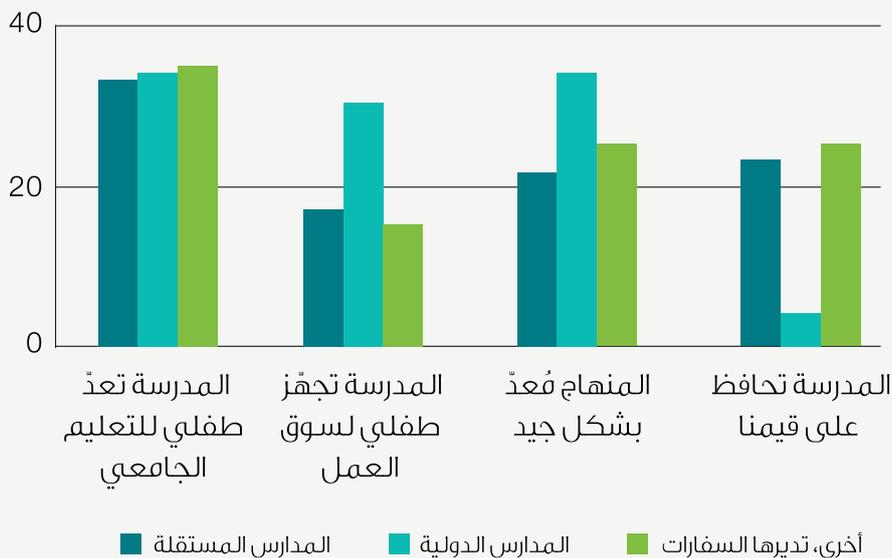
في المدارس المستقلة؛ تظهر بيانات منفصلة عن معهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية المسحية جرى جمعها في سبتمبر 2015 أن المواطنين القطريين أقل رضاً عن نظام التعليم من مرحلة الروضة إلى الصف الثاني عشر، مقارنة بجميع الخدمات العامة التي تقدمها الدولة.

القدرة المالية على الانتقال من المدرسة

بالإضافة إلى مجانية الالتحاق بالمدارس المستقلة؛ فقد أصبحت القسائم التعليمية متاحة الآن لجميع أولياء الأمور القطريين، مما يوفر لهم المزيد من خيارات التعليم. وتتوفر القسائم فقط للتسجيل في المدارس التي تتوافق مع معايير وزارة التعليم والتعليم العالي (قانون نظام القسائم التعليمية رقم 7 في 2012). وتشمل هذه المعايير تدريس التاريخ القطري والتخصصات الإسلامية، إضافة إلى اللغة العربية. وفي هذا السياق؛ سأل معهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية المسحية أولياء الأمور فيما إذا كانوا سيقدمون على نقل أبنائهم من مدارسهم الحالية إذا توفرت لديهم الفرصة والقدرة المالية، وأظهرت الإجابات أن الآباء القطريين، بشكل عام، لا يرغبون في نقل أبنائهم من مدارسهم الحالية.

ومن المثير للاهتمام أن أولياء أمور الطلاب الملتحقين بالمدارس المستقلة هم الأقل

الشكل 2
آراء أولياء الأمور القطريين حول المدارس



أولياء الأمور القطريين غير راضين جداً عن المدارس المستقلة، لكنهم غير مستعدين للانتقال بأطفالهم إلى مدارس أخرى حتى إذا توفرت لديهم القدرة المالية

وتكشف النتائج التناقض بين رغبة أولياء الأمور في تعليم يحافظ على ثقافة وقيم أطفالهم من ناحية، وتعليم آخر يقدم مناهج نوعية من شأنها مساعدة الطفل على تأمين وظيفة جيدة في المستقبل من جانب آخر. وفي المحصلة يجد الكثير من القطريين أنفسهم مجبرين على الاختيار ما بين قيمهم والمناهج الدراسية، أي المفاضلة بين قيمهم وجودة التعليم.

المراجع:

1. Qatar Education Study, Facilities report, 2015. Qatar Education Study, Students' Motivation and Parental Participation report, 2012. SESRI.
2. Zellman Gail L., Gery W. Ryan, Rita Karam, Louay Constant, Hanine Salem, Gabriella C. Gonzalez, Charles A. Goldman, Hessa Al-Thani and Kholode Al-Obaidli. Implementation of the K-12 Education Reform in Qatar's Schools. Santa Monica, CA: RAND Corporation, 2009. <http://www.rand.org/pubs/monographs/MG880>.
3. Guarino, C. M., & Tanner, J. C. (2012). Adequacy, accountability, autonomy and equity in a Middle Eastern school reform: The case of Qatar. *International Review of Education*, 58(2), 221-245.
4. Constant, L., Goldman, C. A., Zellman, G. L., Augustine, C. H., Galama, T., Gonzalez, G., ... & Salem, H. (2010). Promoting quality and variety through the public financing of privately operated schools in Qatar. *Journal of School Choice*, 4(4), 450-473.

المجتمع القطري. وفي أحد أقسام الاستبيان جرى استطلاع آراء أولياء أمور أطفال في السنة الثانية عشرة بشأن منظومة التعليم في البلاد. وأشارت النتائج إلى أن عدم رضا نسبي عن المدارس المستقلة مقارنة بالمدارس الدولية. وفيما يتعلق بالقطريين ذوي الأطفال المسجلين في مدارس مستقلة أعرب 14.5% منهم عن عدم رضاهم عن تلك المدارس في العام 2011.

على النقيض من ذلك جاءت ردود أولياء أمور أطفال مسجلين في مدارس خاصة عربية ومدارس دولية، لتشير إلى عدم الرضا بنسبة 12.1% و 4% على التوالي.

طلب الاستبيان أيضاً من أولياء الأمور اختيار عبارتين تعكسان ما يشعرون به تجاه مدارس أطفالهم، وقد أظهرت البيانات أن أولياء الأمور القطريين الذين لديهم أطفال في مدارس مستقلة أو عربية خاصة أكثر شعوراً بأن مدارس أطفالهم تحافظ على قيمهم بخمس مرات مقارنة بأولياء أمور أطفال مسجلين في مدارس دولية. وفي الوقت ذاته تشير النتائج إلى أن أولياء الأمور هؤلاء أنفسهم الذين لديهم أطفال في مدارس مستقلة آراؤهم أقل إيجابية بشأن المنهج الدراسي والقدرة على مساعدة أطفالهم على تأمين فرصة عمل جيدة. (شكل رقم 2).

تعكس هذه النتائج حقيقة أن العديد من أولياء الأمور يواجهون الاختيار الصعب بين الجودة الملموسة للمدرسة والبيئة الثقافية في المدارس.

موجز الدراسة

نجحت قطر في غضون أعوام قليلة، بدعم من إرادة سياسية قوية وموارد مالية ضخمة، في تبني خطة إصلاح طموحة للتعاظم مع منظومة تعليم عام تتسم بالضعف. وبينما تساعد خطة الإصلاح هذه في تحسين جودة التعليم بوجه عام؛ إلا أنها زادت من مخاوف المواطنين بشأن المحافظة على الثقافة القطرية. وكما رأينا هنا، فإن ارتباط أولياء الأمور بالتقاليد والقيم يؤثر بقوة في اتخاذ القرار بشأن تعليم أطفالهم. وقد تعامل نظام القسائم التعليمية مع مسألة اختيار المدرسة فيما يتعلق بالتكلفة المالية، إلا أن أثره على الحركة التعليمية يبقى مقيداً بتصورات أولياء الأمور بأن المدارس الدولية تقدم تعليماً ضعيفاً في مواد مثل اللغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ القطري. كما أن هناك جوانب أخرى في المدارس المستقلة، مثل الفصل بين الجنسين في حجرات الدراسة، تعكس أيضاً القيم التقليدية. ويبقى الانتقال بأعداد كبيرة من المدارس المستقلة إلى المدارس الدولية في أوساط المواطنين القطريين مرتبطاً بشدة بالقيم التقليدية.